

روايات مصرية للجيب

مغامرات



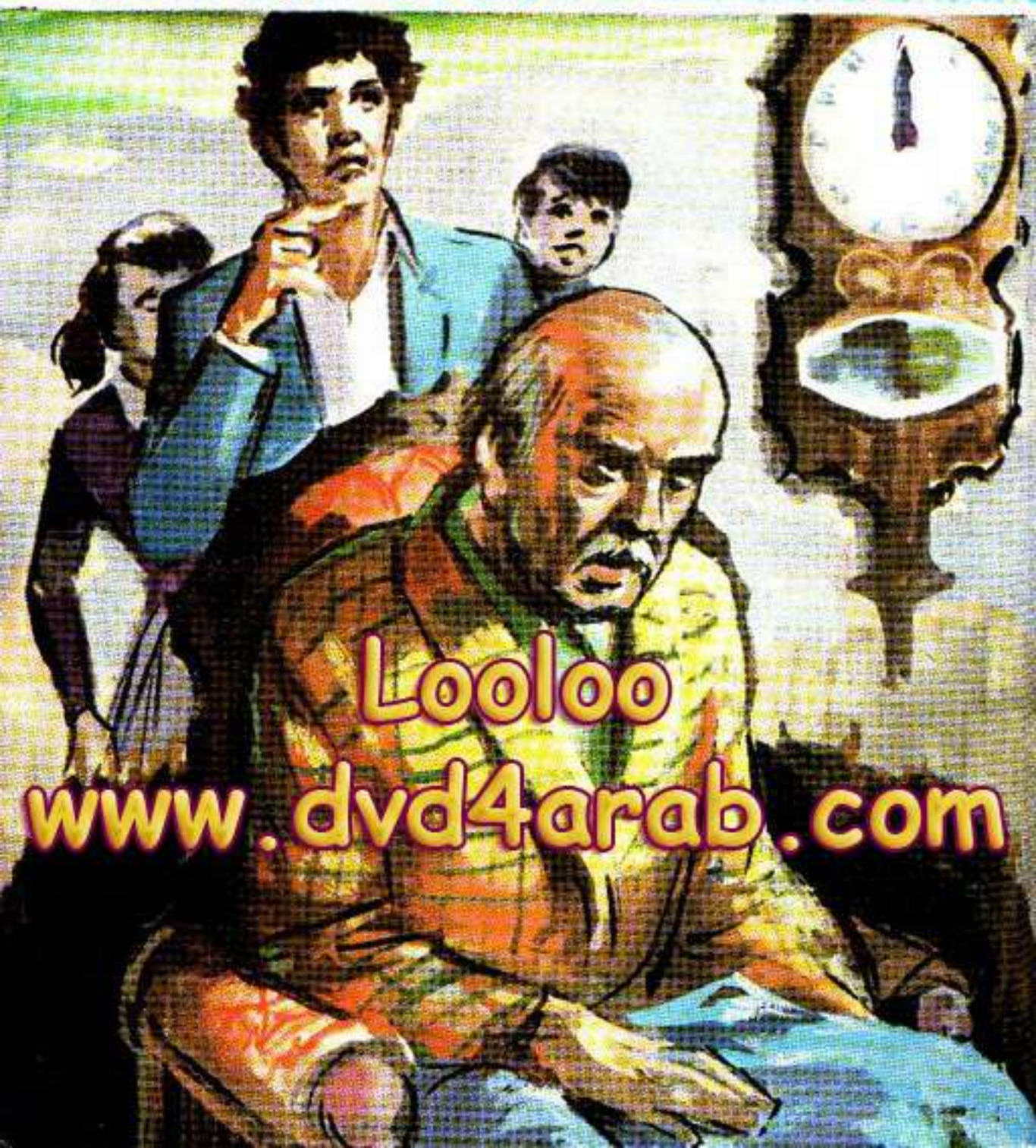
قضية منتصف الليل



سلسلة الغاز بوليسية مثيرة للناسئين

٢ × ٤

٢٤



Looloo

www.dvd4arab.com

١ — ساعة القتل ..

ارتفعت دقات الساعة الأثرية القديمة ، التي تزين حائط بهو
قيلاً المليونير العجوز (حسين صادق) معلنة تمام العاشرة
مساءً ، حينما دلف حفيده الشاب (جمال) إلى حجرة مكتبه ،
مرتدياً حلة كاملة ، ورباط عنق قصيراً ، يوحى بأنه في طريقه إلى
حفل رسمي ، واقترب من جدّه المليونير ، الذي حدّجه بنظرة
صارمة حانقة ، قبل أن يغمغم في تبرّم واضح :

— هل ستصحبهم إلى ذلك الحفل السخيف يا (جمال) ؟

ابتسم (جمال) في هدوء ، وهو يقول :

— نعم يا جدّي .. كلنا سنذهب كالمعتاد .. إنه حفل رأس

السنة كما تعلم و ...

قاطعته جدّه في جدّة :

— ماذا أغلّم ؟ .. إنها حماقة ، أن تنفقوا كل هذا القدر من

أموالي ، في سخافات .

عقد (جمال) حاجبيه في ضيق ، وهو يقول في توثر :



— أبقاك الله لنا يا جدى .

صاح الجد فى سخط :

— لتفقوا مزيدا من أموالى .. أليس كذلك ؟

ازداد انعقاد حاجبى (جمال) ، وأشاح بوجهه ، فى نفس اللحظة التى دلف فيها إلى الحجرة رجلا وامرأتان ، وقال أحدهم لـ (جمال) :

— هيا يا (جمال) .. لقد تأخرنا .

التفت إليه (جمال) ، مغفما :

— أنا على أتم استعداد يا أبى .

هتف الجد فجأة فى جدّة :

— عجباً !!.. لماذا لا تبدى كل هذا الحماس للعمل إذن

يا (حاتم) ؟

تطلع إليه الرجل فى دهشة ، وقال :

— ومن قال إننى لا أفعل يا أبته .. إننى ..

قاطع العجوز فى ثورة :

— لا تخاطبنى بلقب (أبته) هذا أبدا .. إنك زوج ابنتى

فحسب ..

هتفت إحدى المراتين فى غضب :

— حذار يا أبى .. إنك ..

عماد يقاطعها فى ثورة :

— حذار أنتم .. لقد فاض بى الكيل ، حتى لم أعدل

أحتمل .. إننى أروى الجميع فى قبلى ، وأنفق عليكم من مالى ، ولكن أحدكم لا يبالى بالشركة ، التى تنعمون بأرباحها .

واحتقن وجهه فى شدّة ، وهو يصرخ مستطرذا :

— بل إن بعضكم يسرقها .

علت الدهشة وجوه الجميع ، وهتف الرجل الآخر فى

عصيّة وغضب :

— إنك تفرط فى اتهاماتك هذه المرة أيها العجوز .

رمقه الجد بنظرة تفيض بالمرارة والكراهية ، وهو يقول :

— هكذا يا (هانى) ؟! هكذا ترانى ؟!.. لا بأس ..

ستدفعون جميعكم الثمن صباحا .. ستدفعون ثمن عدم

مبالاةكم بى .

اقتربت منه ابنته ، وهى تقول فى إشفاق :

— أبى .. إنك شديد التوثر والعصيّة الليلة .. اذهب إلى

فراشك و

قاطعها في ثورة ، وهو يلوح بذراعه في وجهها :
 — إليك عني .. لا تتظاهروا بالعطف والشفقة تجاهي ..
 إنني أعلم أنكم تتمنون موتي جميعاً .
 وتألفت في عينيه نظرة مخيفة ، وهو يستطرد :
 — ولكن محال .. سأبقى حتى أشهد نهايتكم جميعاً .
 تبادل الجميع نظرات يمتزج فيها الغضب بالخيرة
 والإشفاق ، وغمغم (حاتم) :
 — إنه شديد الثورة على نحو غير طبيعي .
 تتم (هاني) في حلق ، وهو يشيح بوجهه :
 — لقد أصيب بالجنون .. لا ريب في هذا .
 صرخ الجَدُّ فجأة :
 — حذار أيها الوقح ، فما زال سمعي حاداً ..
 زفر (هاني) وهتف في توثر :
 — هيا بنا .. سيفوتنا الحفل .
 لُوح العجوز بذراعيه ، وهو يهتف في ثورة :
 — اذهبوا .. اذهبوا عني ، وتمتعوا بالحفل ، فقد يحمل
 إليكم العام الجديد كارثة .
 تطلعت إليه ابتاه في إشفاق ، في حين اقرب منه حفيده ،
 وهو يقول :

— هل تحب أن أبقى معك يا جَدِّي ؟
 صاح فيه الجَدُّ في حدة :
 — كلاً .. اذهب معهم .. أريد أن أبقى وخذني .
 وطاف ببصره في وجوههم ، قبل أن يستطرد في غموض :
 — هناك أوراق شديدة الخطورة ، أحب أن أراجعها
 وحدي ، فالقرار الذي سأأخذه بشأنها ، قد ينقص أفراد العائلة
 واحداً ، لفترة طويلة .
 ثم عاد يصرخ في ثورة هادرة :
 — اتركوني وخذني .
 غادر (هاني) الحجرة في حدة ، وتبعه (حاتم) في خطوات
 سريعة ، وترددت الابتان لحظة ، ثم لحقتا بزوجيهما ، في حين
 بقي (جمال) وخذله مع جَدِّه ، وسأله في قلق :
 — ماذا كنت تعني بشأن هذه الأوراق يا جَدِّي ؟
 رمقه العجوز بنظرة استخفاف ، وهو يغمغم :
 — اذهب يا (جمال) .. الحق بهم ، فقد لا تلتقي بهم مرة
 أخرى :
 احتقن وجه (جمال) ، واكتسى صوته برئة غامضة ،
 وهو يقول :

— نعم يا جدى .. سألحق بهم .

وغادر الحجرة غاضبًا .

ولم يكد صوت محرك السيارة ، التى تقل الأسرة إلى
الحفل ، بخفت مبتعدًا ، حتى دق سكرتير العجوز الخاص باب
مكتبه ، وتنحنح ، فهتف به العجوز فى عصبية :

— ادخل يا (نبيه) .

دلف (نبيه) إلى الحجرة فى خطوات هادئة ، ومال على
العجوز يسأله فى قلق :

— هل أعد لك فنجانًا من القهوة يا سيدى ؟

لوح العجوز بكفه ، وقال فى توتر واضح :

— كلاً يا (نبيه) .. إن أعصابى ثائرة ، وستزيدنى القهوة

توتراً .

سأله فى هدوء :

— هل تحتاج إلى خدماتى إذن ؟

أجابه العجوز فى جدّة :

— انتظرنى فى مكتبك ، فلدى بعض الأوراق أحب

مطالعتها ، وقد يحتاج منك الأمر إلى الاتصال بالجهات المعنية .

عقد (نبيه) حاجبيه ، وهو يسأله فى خيرة :

— أية جهات يا سيدى ؟

أجابه العجوز فى صرامة :

— الشرطة .

تراجع (نبيه) فى جدّة ، وهو يهتف :

— الشرطة ؟!

غمغم العجوز فى سخط :

— نعم .. الشرطة .

حدّق (نبيه) فى وجه العجوز فى ذهول ، ثم لم يلبث أن هزّ

كفيه ، وهو يقول :

— لا بأس يا سيدى .. سأنتظر .

ثم اتجه إلى باب الحجرة ، لينصرف ، ولكن العجوز

استوقفه قائلاً :

— هل تعلم لماذا أعتبر أن (موسولينى) كان أفضل رجال

هذا العصر يا (نبيه) (*) ؟

(*) (بينيتو موسولينى) : (١٨٨٣ — ١٩٤٥ م) ، دكتور

إيطالى ، مؤسس الفاشية وزعيمها ، انزل عن الدول الغربية ، وانضم

إلى (هتلر) فى الحرب العالمية الثانية (١٩٤٠) ولقد حاول الفرار بعد

هزيمة (ألمانيا) ، أمام (الحلفاء) ولكنه أسير ، وحُكِمَ ، وأعدم علنياً .

استدار إليه (نبيه) في دهشة ، وهو يغمغم :

— لماذا يا سيدي ؟

عقد العجوز حاجبيه في شدة ، وهو يقول في حدة :

— لأنه لم يتردد في إعدام زوج ابنته ، حينما تبين له أنه

خائن .

رفع (نبيه) حاجبيه ، وهو يغمغم في دهشة وخيرة :

— زوج ابنته !؟

صاح العجوز في عصبية :

— نعم .. زوج ابنته .. لا مجال للعواطف في العمل ..

لهذا أحترم (موسوليني) وأقدره .

تنهد (نبيه) في خيرة ، وغمغم في استسلام :

— بلا شك يا سيدي .. بلا شك .

ثم غادر الحجرة ، وأوصد بابها خلفه ، وهو يقول في

إشفاق :

— لقد أصيب بالجنون ولا ريب .. لقد أصيب بالجنون .

مضى الوقت بطيئاً مثاقلاً بالنسبة لـ (نبيه) ، وهو يجلس

وحده في حجرة مكتبه ، فراح يقطع الحجرة جيئة وذهاباً ،

وقد بلغ ملله ذورته ، وتطلع عبر نافذة مكتبه إلى الأمطار التي

تهطل في غزارة ، ثم أدار عينيه إلى ساعته ، التي أشارت عقاربها

إلى منتصف الليل ، إلا ثلاث دقائق ، فغمغم في ضجر :

— يا إلهي !!! ماذا يفعل العجوز طيلة كل هذا الوقت ..

أراهن أنه قد استسلم للنوم كعادته ، وتركني هنا اجتر الملل

والحنق .

زفر في قوة ، وتعلق بصره بعقارب الساعة ، ورأى عقربي

الساعات والدقائق يمتزجان ، عند الرقم اثني عشر ، فعاد

يغمغم في ضجر :

— الآن ينتهي عام ، ويبدأ عام جديد .

لم يكد يتم عبارته حتى ارتفعت دقائق الساعة الأثرية في

البهو ، معلنة تمام منتصف الليل ، وأخذ (نبيه) ، من دون

وعى ، يحصى دقائقها ، حتى بلغت اثنتي عشرة دقيقة ، ولم يكد

رنين الدقة الأخيرة يتلاشى ، حتى سمع (نبيه) صوت العجوز

في مكتبه يصيح :

— ماذا تفعل هنا؟ .. لماذا عدت ؟

تساءل (نبيه) عما يعنيه العجوز ، قبل أن يسمعه يصرخ

مستطرداً :



فراح يدق بابها في دُعر ، صائحا :
 — ماذا حدث يا سيّد (حسين) ؟.. ماذا أصابك ؟

— ماذا تفعل أيها المجنون ؟

وأعقب ذلك صرخة ألم هائلة ، دفعت جسد (نبيه) إلى أن يتفرض في قوّة ، ويتسرّر في مكانه لحظة ، اندفع بعدها (نبيه) نحو حجرة مكتب العجوز ، وحاول فتحها ، إلا أنها بدت مُوصدة في إحكام ، فراح يدق بابها في دُعر ، صائحا :
 — ماذا حدث يا سيّد (حسين) ؟.. ماذا أصابك ؟

ولمّا لم يتلق جوابا ، أخذ يدفع الباب بكتفه في قوّة ، حتى يش من استطاعته اقتحام الحجرة ، فأسرع إلى باب القبلا ، وفتح ، وراح يعدو تحت المطر ، حتى دار حولها ، وخاض بحذائه اللامع في حوض الزهور الموحل ، الملاصق لنافذة حجرة مكتب العجوز .. ولم يكد يصل إليها حتى تراجع في ذهول ودُعر ، فقد كانت النافذة محطمة ..

وكان (حسين صادق) فوق مقعده ، جاحظ العينين ، وقد استقرّت في قلبه فتاحة الخطابات الذهبية ، الخاصّة به .
 كان العجوز قد قُتل .. في منتصف الليل تماما .

٢ — التحقيق ..

اختلط وميض البرق بوميض مصباح التصوير ، حينما التقط
(عصام كامل) صورة العجوز القليل ، قبل أن يحمله رجال
البحث الجنائي إلى سيارة الإسعاف ، التي تقف خارج القيلا ،
والتفت (عصام) إلى حجرة المكتب يتأملها في إمعان ، وقد
بدت نظيفة ، مرتبة إلى أقصى حد ، مما يوحي بأن العجوز كان
رجلاً منظماً للغاية ، وتوقف بصر (عصام) عند النافذة
المحطمة ، حينما سمع العقيد (خيرى) يسأل (نبيه) :

— وماذا فعلت بعد أن كشفت مصرع (حسين
صادق) ؟

أجابه (نبيه) فى صوت يشف عن توثره وانفعاله
الشديدين :

— لقد عدت أدراجى إلى القيلا ، واتصلت بكم فوراً .
سأله العقيد (خيرى) ، وهو يدور ببصره فى المكان :
— ألم تحاول دخول الحجرة لإسعافه ؟

هز (نبيه) رأسه نفياً ، وأجاب :
— لم تكن هناك جدوى من ذلك ، فقد كان قد فارق الحياة
بالفعل .

سأله العقيد (خيرى) فى حدة مفاجئة :
— وكيف عرفت ؟

شحب وجه (نبيه) ، وهو يقول :
— لقد كان ممتقع الوجه ، شاحب العينين و...

قاطعته العقيد (خيرى) وهو يسأله :
— ألم تحاول أن تجس نبضه مثلاً ؟

هز (نبيه) رأسه ، وقال :

— إننى لم أفكر فى ذلك و...

بتر عبارته فجأة ، ليقول فى حدة :

— هل تتهمنى بقتله يا سيادة العقيد ؟

ابتسم العقيد (خيرى) فى حُب ، وهو يقول :

— إننى لم أقل ذلك .

هتف (نبيه) فى عصبية :

— ولكنك تشير إليه .

أجابه العقيد (خيرى) فى برود :

— ليس بعد يا سيّد (نبيه) .. ليس بعد .
ثم التفت إلى (عصام) ، الذى انهمك فى فحص النافذة
المكسورة ، مستطرذاً فى صرامة :
— حذار أن تمس أى شيء يا (عصام) ، فرجال البحث
الجنائى لم يرفعوا البصمات بعد .
غمغم (عصام) دون أن يتلفت إليه :
— ولكن هذه النافذة المخطّمة تثير دهشتى ، يا سيادة
العقيد .
سأله العقيد (خيرى) ، وهو يتجه إليه ، متجاهلاً
(نبيه) :
— لماذا ؟
أشار (عصام) إلى أسفل النافذة ، وهو يقول :
— من المفروض أن القاتل هو الذى حطّم النافذة ، ليدخل
إلى حيث يجلس القتيل ، أى أنه قد حطّمها من الخارج .. وفى
هذه الحالة ، كان من المنطقى أن يتأثر الزجاج المخطّم داخل
الحجرة ، ولكننا لا نجد فى الواقع سوى قنات زجاج فأين
ذهب الباقي .
نقل العقيد (خيرى) بصره إلى الجزء المخطّم الكبير من
زجاج النافذة ، وغمغم فى اهتمام :

— هذا صحيح !
ثم التفت إلى (نبيه) ، يسأله فى صرامة :
— هل لديك إجابة عن هذا الغموض يا سيّد (نبيه) ؟
هتف (نبيه) فى عصبية :
— كلاً بالطبع .
ابتسم العقيد (خيرى) فى تخابث ، وهو يتمم :
— عجباً !!
عقد (نبيه) حاجبيه فى شدة ، وهتف فى خنق :
— اسمع أيها العقيد .. إننى لم أقتل (حسين صادق) ،
لأننى — وببساطة شديدة — أعيش من المرتب الذى أحصل
عليه منه ، ومصرعه قد يغنى حرمانى وظيفتى ودخلى و ...
قاطع العقيد (خيرى) فى برود :
— ما لم يكن قد أوصى لك بمبلغ ضخم .
صاح (نبيه) فى سخط :
— أتسعى لإنهاء القضية بآتهامى ؟! .. أتجد أن هذا أبسط
الحلول ؟
هزّ العقيد (خيرى) رأسه نفياً ، وقال فى هدوء :
— كلاً يا سيّد (نبيه) .. إننى أسعى لتحقيق العدالة
فحسب .

ثم جلس في هدوء ، وهو يستطرد :

— من قتله في رأيك ؟

هز (نبيه) كفيه ، وهو يقول :

— لست أدري .

وصمت لحظة ، عقد خلالها حاجبيه ، وهو يستدرك في خفوت :

— ما لم ...

قال العقيد (خيرى) في اهتمام ، وهو يستحثه على مواصلة الحديث :

— ما لم ماذا ؟

تردد (نبيه) لحظة ، ثم اندفع يروى له كل ما سمعه من حديث ، بين العجوز وابنتيه وزوجيهما وحفيده ، قبل انصرافهم إلى الحفل .. وما دار بينه وبين العجوز من حوار ، قبل أن ينصرف إلى مكتبه .. ولم يكذ ينهى حتى هتف (عصام) في حرارة :

— يا إلهي !!! هذا يوضح الكثير .. فحديث العجوز عن (موسولينى) ، وإعدامه لزوج ابنته ، وحديثه عن الأوراق التي كان ينوى مطالعتها ، وطلبه لك إبلاغ الشرطة ، تؤكد كلها أن أحد زوجتي ابنتيه هو الذى ...

قاطعته العقيد (خيرى) بإشارة صارمة من يده ، ثم التفت إلى (نبيه) يسأله في اهتمام :

— وأين هذه الأوراق ، التي كان يطالعها ؟

قلب (نبيه) كفيه في خيرة ، وقال :

— لست أدري !.. إننى لم أدخل إلى حجرتي ، إلا بعد قدومكم .

سأله (عصام) في اهتمام :

— ألم يكن يطالعها ، قبل أن يطلب منك الانصراف ، والبقاء في حجرة مكتبك ؟

هز (نبيه) رأسه نفياً ، وقال :

— كلا .. لم يكن يطالع أية أوراق حينذاك .

سأله العقيد (خيرى) :

— وهل كان من عادته أن يؤصد الباب من الداخل ؟

غمغم (نبيه) :

— لست أدري .

سأله العقيد (خيرى) في حدة :

— ماذا تغنى بأنك لست تدري ؟.. ألسنت سكرتيره

الخاص منذ خمس سنوات !؟

أجابه (نبيه) في توثر :

— بلى .. ولكنه لم يكن يدعوني إلى مكتبه ، إلا بعد أن يفتح الباب ، ويقف على عتبة مناديا ، ولست أدري ما إذا كان يؤصد الباب قبل ذلك أم لا .

سأله (عصام) :

— أمن الداخل كان الباب موصدا أم من الخارج ؟

أجابه (نبيه) في عصبية :

— من الداخل بالطبع ، فلقد كان المفتاح في ثقب الباب من الداخل .. ولقد عجزت أنا عن اقتحام الحجرة من الخارج ، بعد أن سمعت صيحة العجوز .

ساد الصمت لحظة ، ثم سأله العقيد (خيرى) في هدوء :

— وأين أفراد الأسرة الآن ؟

أجابه (نبيه) في خنق :

— يقضون حفل رأس السنة في الخارج .. لست أدري أين ، ولكنهم سيعودون في وقت متأخر بالطبع .

لم يكذبتم عبارته ، حتى وصل إلى مسامع الجميع صوت سيارة ، تتوقف أمام القيلا ، وصوت شهقات فزعة ، وأقدام تغدو في الممر الموصل عبر الحديقة إلى القيلا ، ثم اقتحم (جمال) حجرة المكتب ، وهو يهتف في جزع :

— ماذا حدث ؟ .. ماذا أصاب جدى ؟

لم يجبه العقيد (خيرى) فوراً ، وإنما انتظر حتى وصلت أمه وخالته وزوجاهما : (حاتم) و (هانى) ، ثم أجاب في هدوء :

— لقد قُتل .

شهقت السيدتان ، وامتنقع وجهاهما ، وهما تتراجعان في دُعر وذُهور ، واتسعت عينا (جمال) في جزع ، ودفع والده (حاتم) رأسه إلى الأمام ، وهو يحدق في وجه العقيد (خيرى) على حين عقد (هانى) حاجبيه ، وهو يقول في استنكار ممزوج بالدهشة :

— قُتل ؟!

نهض العقيد (خيرى) ، وهو يقول في صرامة :

— نعم أيها السادة .. قُتل .. والقاتل هو

صمت لحظة ، جال ببصره خلالها في وجوههم ، قبل أن يردف في حزم :

— هو أحدكم .

٣ - الاتهام ..

كانت عبارة العقيد (خيرى) أشبه بقبلة ، تفجرت في رجوه أفراد الأسرة ، فاتسعت عيونهم في ذهول ، والتوت ملاحظهم في دهشة بالغة ، واستنكار شديد ، وفقرت أفواههم ، وظلوا يحدقون في وجهه طويلاً ، قبل أن يهتف (هالى) في غضب :
— أى هراء هذا ؟! .. لقد غادرنا القيلًا جميعًا ، والعجوز في خير صحة وعافية ، وعدنا إليها معًا ، لنجده صريعًا .. فكيف يكون قاتله أحدنا بالله عليك ؟

عاد العقيد (خيرى) يجلس في هدوء ، وهو يقول :
— إننا لم نصل بعد إلى مرحلة (كيف ؟) هذه ياسيدى .. ولكن ما لدينا من أدلة تؤكد أن القاتل هو أحدكم .
هتف (هالى) في غضب :

— بل إنك لم تتجاوز بعد مرحلتى من ؟ .. ولماذا ؟ أيها العقيد .. ولكنك تتصور أنك ستوقع بأحدنا ، حينما تفاجئنا بالهامك هذا .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يقول :
— أمّا عن لماذا ، فلقد توصلنا إليها بالفعل .
ثم نهض ، وهو يستطرد :

— لعلكم تذكرون جميعًا ، أنه في حديث العجوز معكم ، قبل انصرافكم إلى الحفل ، قد أشار إلى أوراق يرغب في مطالعتها ، وإلى خطورة ما تحويه ، وقال بالتحديد : إن هذه الأوراق قد تُنقص أفراد العائلة واحدًا ، وأظن أن الأمر لا يحتاج إلى كثير من الذكاء ، لنذكر جميعًا ماذا كان يُغنيه بقوله هذا ؟

قال (حاتم) في توثر :
— حسنًا .. فلنفترض أننا نفتقر إلى هذا القدر من الذكاء ، وأخبرنا أنت ما الذى كان يُغنيه بقوله هذا .
مال العقيد (خيرى) نحوه ، وهو يقول :
— أخبرنى أنت أولاً ، من كان يدير شركة المقاولات الكبرى ، التى يملكها (حسين صادق) ؟
أجابه (حاتم) في عصبية :

— إننا نديرها أنا و (هالى) ، منذ ما يقرب من خمسة أعوام ، ولقد انضم إلينا في إدارتها ابنى (جمال) ، بعد تخرجه من كلية الهندسة ، في العام الماضى .



مال العقيد (خيرى) نحوه ، وهو يقول :
— أخبرنى أنت أولاً ، من كان يدير شركة المقاولات ..

لَوْح العقيد (خيرى) بكفّه ، وأجاب فى هدوء :
— هل رأيت ؟ .. إن هذا يوضح كل شيء .
ظهرت الخيرة على وجه (حاتم) ، فى حين هتف (هانى)
فى حدة :

— ماذا يوضح ؟

نهض العقيد (خيرى) ، وهو يقول فى صرامة :
— يوضح أن هذه الأوراق ، التى كان العجوز ينوى
مطالعتها ، والتى اختفت بعد مصرعه ، كانت تحوى أدلة تشير
إلى أن أحد زوجى ابنتيه ، كان يكتسب أموال الشركة .. ولقد
كان العجوز يعلم ذلك ، وكان ينوى إبلاغ الشرطة بالأمر ،
ولهذا قتله المختلس ، ليخفى جريمته ، قبل أن يوقع به العجوز .
شحب وجه (حاتم) فى شدة ، فى حين هتف (هانى) فى سخط :
— ياله من استتاج سخيف !

خدج العقيد (خيرى) بنظرة صارمة ، وهو يقول :
— سنرى يا سيد (هانى) .. سنرى كل الحقيقة ، بعد أن
نتهى من استجوابكم جميعاً .. لقد بدأ العام الجديد
— بالنسبة لكم — بكابوس .. كابوس يحمل اسم (قضية
منتصف الليل) .

« وماذا قالوا في أثناء استجوابهم يا أستاذ (عصام) ؟ »
أقلت (غلا) هذا السؤال على (عصام) في لهفة ،
فتساءب هذا الأخير ، وفرك عينيه في قوة ، ليدفع عنهما أثر
النعاس ، الذي يصرُّ على إثقال جفنيه ، قبل أن يجيب :

— لقد اعترفوا جميعاً بحديث العجوز عن تلك الأوراق ،
قبل مصرعه .. ولكنهم أجمعوا على أن أحدهم لم يرها ،
ولا يعلم ما كانت تحتويه .. واتفقوا على أن العجوز عاش عمره
كله كئوماً ، لا يصرِّح عمّا يتويه أبداً .. وأنه في تلك الليلة
كان شديد الثورة ، بخلاف المعتاد ، حتى أنهم ذهبوا إلى الحفل
في حالة من التوتر الشديد ، بعد أن شيعهم بعصبته وسبابه .

سأله (عماد) في اهتمام :

— وماذا عن الحفل نفسه ؟

أجابه (عصام) ، وهو يسترخي في مقعده :

— لا شيء .. لقد كانوا يجلسون طوال الحفل حول مائدة
واحدة ، لم يغادرها أحدهم حتى عادوا إلى القیلاً .

سألته (غلا) :

— وكم يبعد مكان الحفل عن القیلاً ؟

مطَّ شفتيه ، وهو يقول :

— حوالي عشر دقائق بالسيارة .

اعتدل (عماد) ، وهو يقول :

— هذا يعني أن أيهم كان يمكنه أن يغادر المائدة ، بحجة
ذهابه إلى دورة المياه مثلاً ، ويستقل السيارة ليعود إلى القیلاً ،
حيث يقتل العجوز ، ويستولى على الأوراق ، ثم يرجع إلى
الحفل ، دون أن ينتبه أحدهم إلى غيابه ، فالأمر كله لن
يستغرق أكثر من نصف الساعة ، ومثل هذا الزمن قد يمضي
كلحظة ، بالنسبة لمن يتابع حفلاً صاخباً ، من حفلات رأس
السنة .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول في اهتمام :

— هذا صحيح .. ولكن أيهما ؟ ..

غمغمت (غلا) :

— تقصد أيهم .

أجابها في إصرار :

— بل أيهما .. فحديث العجوز إلى سكرتيره ، قبل

مصرعه ، يؤكد أن القاتل هو أحد زوجتي ابنتيه .

قال (عماد) في هدوء :

— هذا لو أن حديث السكرتير صحيح .

سأله (عصام) وهو يعتدل :

— هل تُغنى أنه من المحتمل أن يكون السكرتير هو
القاتل .. وأن حديثه عن (موسولينى) مع العجوز ، مجرد
خدعة ، لجذب الانتباه إلى زوجتى الابنتين ؟

أسرعت (غلا) تقول :

— كلاً .. لست أظن ذلك .

سألها (عصام) فى حدة :

— لماذا ؟

تبادلت مع شقيقها نظرة معاتبة ، فتخضّب وجه (عماد)
بجمرة الخجل ، وهو يقول :

— آه !! بالطبع .. لقد نسيت ذلك .

هتف به (عصام) فى غضب :

— هل لى أن أحصل على جواب لسؤالى ؟

التفت إليه (عماد) ، وهو يقول :

— بالطبع يا أستاذ (عصام) .. معذرة .. لقد انتبهت

(غلا) إلى نقطة غابت عن ذهنى أنا ، وهى أن العجوز قد
أشار إلى أن محتوى الأوراق سينقص أفراد الأسرة واحداً ،

وهذا يستبعد السكرتير تماماً من الاتهام ؛ لأنه ليس أحد أفراد
الأسرة .

قال (عصام) فى عصبية :

— ربّما قتله لحساب أحد زوجتى الابنتين .

هزّت (غلا) رأسها نفياً ، وهى تقول :

— لست أظن ذلك أيضاً .. فمن الطبيعى أن تتجه إليه

أصابع الاتهام ، نظراً لأنه الوحيد الذى بقى مع العجوز ، بعد
انصراف أفراد الأسرة ، وهو يعلم ذلك ، ولن يخاطر بمستقبله
من أجل أحدهم .

قلّب (عصام) كفيه ، وهو يقول :

— فى هذه الحالة سيكون علينا أن نأخذ أقواله كقضية

مسلم بها ، وهذا يقودنا مرة أخرى إلى أن القاتل هو أحد
زوجتى الابنتين .

رأى الصمت لحظات ، ثم قال (عماد) فى اهتمام :

— هل التقطت صورة للعجوز القليل يا أستاذ (عصام) ؟

أجاب (عصام) ، وهو يخرج الصورة ، ويضعها أمامهما :

— نعم .. ها هى ذى .

تأمل (عماد) و (غلا) الصورة فى اهتمام ، وكانت تمثّل

القتيل ، جاحظ العينين ، والخنجر غائص في قلبه حتى مقبضه ، وهو يمسك المقبض في قوة ، وكأنه يحاول انتزاع الخنجر من قلبه .. فأشاحت (غلا) بوجهها ، وهى تغغم في ألم :

— يا للبشاعة !!

تنهد (عصام) ، وهو يعيد الصورة إلى جيبه ، مغمغماً :
— القتل دائماً أمر بشع يا (غلا) .

وافقه (عماد) و (غلا) بإيماءة من رأسيهما ، ثم اندفعت (غلا) فجأة تقول :

— وماذا لو أن القاتل ليس أحد أفراد الأسرة ؟
ابتسم (عماد) وهو يتطلع إليها بنظرة معاتبة ، فأسرعت تستطرد :

— أغنى أنه قاتل مأجور ، استأجره زوج الابنة القاتل ، ليؤدى هذه المهمة القذرة ، في حين يكون هو في الحفل و ... أوقفتها النظرة المعاتبة ، التى لم تفارق عيني شقيقها ، فاستطردت في عصبية :

— ولم لا ؟

أجابها (عماد) في هدوء :

— لأن أفراد الأسرة لم يعلموا بأمر هذه الأوراق ، إلا قليل انصرفهم للحفل .. ولم تكن هناك فرصة لاستئجار قاتل ، أو التفاوض معه .. ثم إن آخر ما قاله المعجوز ، بحسب أقوال سكرتيه الخاص ، هو : « ماذا تفعل هنا ؟ .. لماذا عدت .. »
والعبارة تؤكد أنه قد رأى أحد أفراد أسرته ، وأن عودته في ذلك الموعد قد أدهشته .

تضرج وجهها بخمرة الخجل بدورها ، وهى تطرق برأسها مغمغمة :

— هذا صحيح .

هتف (عصام) في انفعال :

— إذن فالقاتل هو أحد زوجي الابنتين بالتأكيد .
أجابه (عماد) :

— هذا ما يدو يا أستاذ (عصام) .. ولكن كيف ؟
انهمك الثلاثة بضع لحظات في تفكير عميق ، ثم سأل (عصام) بغتة :

— ألا تشير إليكم النافذة المحطمة بشيء ؟

تبادلا نظرة غامضة ، ثم هتفت (غلا) :

— بالكثير .

وسأله (عماد) فجأة :

— هل لاحظت أحذية أفراد الأسرة ، حينما عادوا من

الحفل يا أستاذ (عصام) ؟

سأله (عصام) في دهشة :

— لماذا ؟

أجابته (غلا) في اهتمام :

— لأن القاتل لم يأت من النافذة ، كما أراد أن يوجي ، وإنما

حطّمها قبل مغادرته للحجرة .

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يقول :

— أهو لفر جديد ؟

أجابته (عماد) :

— بل هو استنتاج مؤكد يا أستاذ (عصام) .. فلقد

أشرت أنت إلى أن الحجرة كانت نظيفة للغاية وإلى أن النافذة لم

تتحطم من الخارج ، بدليل عدم تناثر زجاجها داخل

الحجرة .. ولقد كانت الليلة ممطرة ، وحوض الزهور أسفل

النافذة موحل للغاية .. ولو أن القاتل دخل الحجرة عبر

النافذة ، لترك فيها آثاراً موحلة .. ولكن الحقيقة هي أنه قد

وصل من باب القيلأ الرئيسي ، ودخل إلى حجرة المكتب ،

وأوصد بابها خلفه بالمفتاح .. وحينما رآه العجوز صاح يسأله
عمّا حدا به إلى العودة ، فما كان من القاتل إلا أن التقط فتاحة
الخطابات ، وطعن بها العجوز في قلبه ، ثم اختطف الأوراق ،
وحطم النافذة ، ليوجي بأن القاتل قد أتي عبرها ، وفر منها ،
في الوقت الذي كان فيه السكرتير يطرق الباب ، وحينما دار
السكرتير حول القيلأ ، ليصل إلى النافذة ، كان القاتل قد
انصرف بسيارته .

ارتفع حاجبا (عصام) في دهشة ، وهو يغمغم :

— ياله من استنتاج !!

ثم هتف في إعجاب :

— إنكما عبقریان بحق .

أجابته (غلا) في اهتمام :

— دَعك من هذا الآن يا أستاذ (عصام) .. المهم أن

تذكر مَنْ مِنْ أفراد الأسرة كان يرتدى حذاءً موحلاً .

عقد (عصام) حاجبيه ، محاولاً التذكّر ، وهو يغمغم :

— لقد كان أحدهم كذلك بالتأكيد ، ولقد أثار ذلك

انتباهي حينذاك .. ولكن من ؟

هتف (عماد) و (غلا) في انفعال :

— حاول أن تتذكر يا أستاذ (عصام) ، فقد يحل هذا القضية كلها .

اتسعت عينا (عصام) فجأة ، وهو يهتف :
— يا إلهي !!! مستحيل !
هتفت (غلا) :

— من منهما يا أستاذ (عصام) ؟ .. من ؟
ارتجف صوته ، وهو يقول :
— ليس أحدهما .

ثم خفض عينيه ، مستطرذا :
— لقد كان (جمال) .. حفيد القاتل .



٤ — اللُّعْز ..

حدّق (جمال) في وجه (عصام) بذهول ، ثم لم يلبث أن صاح في سخط واستنكار :
— أنا ؟ .. أنا أقتل جدّي ؟ .. أية سخافة هذه يا أستاذ عصام ؟

تنهّد (عصام) ، وأجابه في هدوء :
— الأمر لا يندرج تحت قائمة السخافة يا أستاذ (جمال) ، ولكنه يتصدّر قائمة الخطورة ، فطبقاً لنظرية ارتكاب الجريمة ، تكون أنت المشتبه فيه رقم (واحد) ، بسبب حذاء مُوجِل .

هتف (جمال) في حدة :

— وهل توجد سخافة تفوق هذا ؟ .. سِر في الطرقات بعد ساعة واحدة من انهمار الأمطار ، وستجد كل سكان (مصر) يرتدون أحذية مُوجِلَة .

أجابه (عصام) في هدوء :

— ولكن حذاءك بالذات كان مُوجِلاً بشدة يا أستاذ (جمال) كأنما قد قفزت داخل حوض من أحواض الزهور .

جَدَّه (جمال) بنظرة قاسية ، تفيض بالغضب ، قبل أن يسأله في حِدَّة :

— هل لك أن تخبرني بسبب واحد ، يدفعني إلى قتل جَدِّي ؟

أجابه (عصام) في حِدَّة مماثلة :

— هل لك أنت أن تخبرني بسبب واحد ، يجعل والدك وزوج خالتك يديران الشركة ، لأربعة أعوام متصلة ، دون أن يشكَّ فيهما جَدُّك — رحمه الله — مرَّة واحدة ، ثم تصل شكوكه فجأة إلى ذروتها ، بعد عام واحد من اشتراكك معهما في الإدارة ؟

هتف (جمال) في خَنَق :

— أتهمني أيضًا باختلاس أموال الشركة ؟

ابتسم (عصام) في خبث ، وهو يقول :

— إنني ألقى سؤالاً فحسب .

زفر (جمال) في قوة ، وكأنما يحاول تمالك أعصابه ، ثم

مال نحو (عصام) ، وهو يقول :

— اسمع يا أستاذ (عصام) .. لقد كان جَدِّي رجلاً

شديد النشاط ، لا يكَل من العمل أو يملُّ أبداً ، وأبى وزوج

خالتي يعملان معه ، في شركته ، منذ أكثر من عشرين عاماً ولقد ترك لهما إدارة الشركة ، في السنوات الخمس الأخيرة ، بعد أن أعجزه المرض عن ذلك .. ولقد كان بقاؤه في القِيْلَا — دون عمل — يثير أعصابه في شِدَّة ، مما جعله شديد التوتر والعصبيَّة والشكوك .. وهذا لا يَغْنى أبداً أن اتهاماته كانت صحيحة ، فلقد تجاوز الثمانين من عمره ، ومن المؤكَّد أن عقله لم يكن طبيعياً .

قال (عصام) في برود :

— هذا لا يجيب عن سُؤالِي .

ظهر الغضب على وجه (جمال) ، وهو يقول في حِدَّة :

— أى سؤال ؟ .. إنه اتهام وقح سخيف .

اعتدل (عصام) ، وهو يقول في هدوء :

— ولكنني مازلت أنتظر جواباً شافياً له .

جاء جواب (جمال) على هيئة لكمة قويَّة ، اندفعت

كالقنبلة إلى فكِّ (عصام) .. دون هَوادة .

أعجزت المفاجأة (عصام) تماماً عن تفادي اللكمة ، فقد كان يتوقَّع أن يثور (جمال) ، ويسبُّه ، أو يطرده ، حينما يوجِّه إليه الاتهام بقتل جَدِّه ، ولكنه لم يتوقَّع أبداً أن يهاجمه بهذا العنف .

لذا فقد تلقى (عصام) اللكمة على فكة ، ودفعته قوتها
إلى الخلف ، فسقط بمقعده أرضاً ، ولكنه لم يكذب يهوى ، حتى
قفز واقفاً على قدميه ، ورأى (جمال) ينقضُّ عليه مرة
أخرى ..

وهذه المرة تفاعى (عصام) لكمة (جمال) ، ومال
جانبا ، ثم لكم هذا الأخير في معدته لكمة قوية ، وأعقبها
بأخرى في فكه ، وثأثة بين ضلوعه ، فسقط (جمال) أرضاً ،
وهو يسبُّ ساخطاً ..

وبسرعة انقضَّ عليه (عصام) ، ولوى ذراعه خلف
ظهره ، ودفع وجهه أرضاً ، وهو يقول في حدة :

— أيمكننى اعتبار هذا اعترافاً صريحاً ؟

صاح (جمال) فى غضب ، وهو يحاول التخلص من قبضة
(عصام) :

— أى اعتراف أيا الصحفي الفاشل ؟

هتف به (عصام) ، وهو يزيد من ضغط قبضته على
ذراعه :

— هل تدعى أنك لم تغادر المائدة فى الحفل أبداً ؟

صاح (جمال) فى حدة :



وبسرعة انقضَّ عليه (عصام) ، ولوى ذراعه خلف ظهره ،
ودفع وجهه أرضاً

لقد غادرتها بالطبع .. غادرتها ، لأذهب إلى دورة المياه
مرتين على الأقل ، وغادرتها لأراقص إحدى الفتيات في
الحفل .

ترك (عصام) ذراعاه ، وهو يقول في سخرية :
— أكان الحفل مُوجِلاً ، إلى الحَدِّ الذي لَوَّثَ حذاءك
هكذا ؟

نهض (جمال) في سخط ، وأخذ ينفذ الغبار من حُلته ،
وهو يقول في حِدَّة :

— هل تحاول أن تبدو ذكياً ؟ .. حسناً .. سأخبرك كيف
تلَوَّثَ حذائي بكل هذا الوحل .. لقد كنت أنا أقود السيَّارة إلى
القيلاً ، في أثناء عودتنا من الحفل .. وعندما وصلنا تحت
سيَّارات الشرطة أمام القيلاً ، فقفزت من السيَّارة ، وهرعت
إلى الداخل ، لأعرف ماذا حدث ، ولقد كان الطريق أمام
القيلاً مُوجِلاً ؛ ولهذا تلَوَّثَ حذائي حينما قفزت وسط
الأرواح .

وانعقد حاجباه ، وهو يستطرد في حِدَّة :
— ولو أنني كنت القاتل أيها الذكي ، لفسلت الوحل عن
حذائي قبل أن أعود إلى الحفل .

رقمه (عصام) بنظرة طويلة ، ثم قال في برود :
— ربُّما يا أستاذ (جمال) .. ربُّما .
واتجه نحو باب الخروج في حزم ، ولكنه توقَّف لحظة ،
واستدار إلى (جمال) ، قائلاً في صرامة :
— ولكن الأمر لم ينته بعد يا أستاذ (جمال) ، فما زلت في
رأى المشتبه فيه رقم (واحد) .

ابتسم العقيد (خيرى) ، وهو يستمع إلى (عصام) ، ثم
قال في هدوء :

— استتاج طريف يا (عصام) ، ولكنه سخيف .
ارتفع حاجبا (عصام) في دهشة ، ثم لم يلبث أن انعقدا ،
وهو يقول :

— ولكنه ليس استتاجى بآسيادة العقيد ، إنه استتاج
(عماد) و(غُلا) .

اتسعت ابتسامة العقيد (خيرى) ، وهو يقول :
— ولكنه استتاج متعجِّل يا (عصام) ، لم ينتظر ظهور
النتائج .

سأله (عصام) في اهتمام :

— آية نتائج ؟

تنهّد العقيد (خيرى) ، وقال وهو يلتقط ورقة من أمامه :

— نتائج تقارير وحدة الأدلة الجنائية ، والبحث الجنائى

يا (عصام) .

واستطرد وهو يراجع البيانات الواردة فى الورقة :

— لم تكن هناك أية آثار لأحذية ، فى حوض الزهور ،

أو أية أحواض أخرى فى الحديقة ، سوى آثار أقدام (نبيه) ،

حينما وقف يتطلّع من النافذة ، وهى تؤكد أنه لم يقفز من

النافذة ، وإلا بلغ عمق الآثار الضعف .

سأله (عصام) فى دهشة :

— هل تعنى أن أحدا لم يقفز من النافذة ؟

أوماً العقيد (خيرى) برأسه إيجاباً ، وهو يقول :

— بالضبط .

قلب (عصام) كفيه فى حيرة ، وهو يقول :

— ولكن هذا يقلب استنتاج (عماد) و (غلا) رأساً

على عقب .

تنهّد العقيد (خيرى) مرّة أخرى ، وهو يقول :

— هذا صحيح للأسف .

رَأَى عليهما الصمت لحظات ، ثم سأله (عصام) فى إحباط :

— وماذا عن باقى التقرير ؟

قال العقيد (خيرى) ، وهو يقرأ باقى التقرير :

— مقبض فتّاحة الخطابات لم يكن يحمل أية بصمات ،

سوى بصمات القليل ، بحكم أنها ملكه ، وأنه كان يستخدمها

دوماً ، ثم إنه قد حاول انتزاعها من قلبه ، مما ترك بصمات

عميقة لأصابعه فوقها .. ولقد وُجِدَت بصمات معظم أفراد

الأسرة فى مختلف أركان حجرة المكتب ، ولكن هذا لا يدين

أحدهم ، نظراً لأن الجميع كانوا داخل الحجرة قبيل انصرافهم

إلى الحفل .. أما عن النافذة ، فلقد تحطّمت من الداخل

بالفعل ؛ لهذا فقد عثر رجال البحث الجنائى على قطع الزجاج

المحطّم فى حوض الزهور ، الملاصق للنافذة .

سأله (عصام) فى اهتمام :

— هل عثرتم على الأوراق ؟

هزّ العقيد (خيرى) رأسه نفياً ، وقال :

— مطلقاً .. كل ما عثرنا عليه هو أوراق قديمة ، تعود إلى

تاريخ سابق لتسلم زوجتي الابتين إدارة الشركة ، وبعض
(الروشات) الطيبة الحديثة ، أحدثها يحمل تاريخها يعود إلى
أسبوع واحد ، واسم طبيب شهير من أطباء الأمراض النفسية
والعصبية و ...

قاطعه (عصام) في دهشة :

— هل كان المعجوز مصابًا بمرض نفسي ؟

مطّ العقيد (خيرى) شفّيه ، وهو يقول :

— أو مرض عصبى .

سأله (عصام) :

— وما اسم هذا الطبيب النفسى ؟

أجابه العقيد (خيرى) ، وهو يقرأ الاسم من الأوراق ؟

— الدكتور (خالد سليمان) .

نهض (عصام) ، وهو يقول فى حماس :

— أعتقد أننى أحتاج إلى التحدّث إلى هذا الرجل .

سأله العقيد (خيرى) فى هدوء :

— هل تظن أنه سيضيف إلى معلوماتنا جديدًا ؟

أجابه (عصام) :

— بالتأكيد .

وصمت لحظة ، ثم أردف فى حزم :

— أو يحذف منها .

نهض الدكتور (خالد سليمان) يصافح (عصام) فى
حرارة ، وهو يقول مبتسمًا :

— مرحبًا بك فى عيادتي يا أستاذ (عصام) .. إننى أثوق
لمقابلتك منذ فترة طويلة ، فأنا أتابع كل تحقيقاتك فى شغف .

غمغم (عصام) فى خجل :

— شكرًا يا دكتور (خالد) .. كنت أتمنى أن نلتقى فى
ظروف أفضل .

رفع الدكتور (خالد) حاجبيه ، وهو يقول :

— أيعنى هذا أنك جئتني لسبب غير سار ؟

أومأ (عصام) برأسه ، وهو يقول فى صوت خافت :

— تقريبًا .

عقد الدكتور (خالد) حاجبيه فى قلق ، وأشار إليه

بالجلوس ، وهو يسأله :

— ما سبب زيارتك إذن ؟

أجابه (عصام) :

— إنه يتعلّق بحادث مصرع (حسين صادق) .

مطّ الدكتور (خالد) شفّتيه ، وهو يقول :

— يا للمسكين !.. كم أحزننى مصرعه على هذا النحو .

مال (عصام) نحوه ، وهو يسأله فى اهتمام :

— ممّ كنت تعالج (حسين صادق) ؟

ابتسم الدكتور (خالد) ، وهو يقول :

— لا يمكننى أن أجيب عن هذا السؤال يا أستاذ

(عصام) ، فهذا يتعلّق بأسرار المهنة .

سأله (عصام) فى لهجة أقرب إلى الرجاء :

— هل تعلم أن جوابك قد يزيح الستار عن سرّ مصرعه ؟

أوما الدكتور (خالد) برأسه إيجاباً ، وقال :

— أعلم ذلك بالتأكيد .

وتنهّد قبل أن يستطرد :

— وأظن أن (حسين) — رحمه الله — لن يعترض إذا

ما كاشفتك بالأمر .

ومال نحو (عصام) مستطرداً فى اهتمام :

— حسناً .. لقد كان العجوز يعانى مرضين ، أحدهما

عصبى ، والآخر نفسى .. أما عن العصبى ، فهو التهاب فى

أعصاب الساقين ، جعل حركته مؤلمة ذوّماً ، حتى أنه لم يكن يتحرّك سوى داخل حجرة مكتبه ، طوال الأعوام الخمسة الماضية ، ولم يطأ أرض شركته أبداً ، طوال كل هذه المدة ، على الرغم من أن باقى جسده كان قوياً متيناً .. أما عن المرض النفسى ، فهو نتيجة لهبوط نشاطه فجأة ، بعد أن كان لا يكفّ عن العمل والحركة ، فقد أصابه مرض نطلق عليه اسم (البارانونيا) ، وهو مزيج من عقدة الاضطهاد ، والشعور بالعظمة .. وكان يصاب فى بعض الأحيان باكتئاب شديد ، وبالشعور بأنه لم تعد له فائدة ، ولكنه كان يتجاوز تلك الأزمات فى سرعة .

سأله (عصام) فى اهتمام :

— وهل يجعله هذا شديد الشكّ والرّية .

أجابه الدكتور (خالد) .

— بالطبع .. إن مرضه النفسى هذا يجعله يشكّ فى أقرب

المقربين إليه ، بل ويتصوّر أن شكوكه كلها هى حقائق محضة ،

وقد يتصرّف بناءً على ذلك .

اتسعت عينا (عصام) ، وهو يقول :

— يا إلهى !.. يا للمسكين !

٥ - المشتبه فيه رقم واحد ..

هزّت (غلا) رأسها بعد أن استمعت مع شقيقها إلى حديث (عصام) ، وقالت في استنكار :
— كلاً يا أستاذ (عصام) .. إن نظريتك لم تقنعني .
هتف (عصام) في حنق :

— كيف ؟ .. إنها تبدو لي منطقية للغاية ، فلك الأوراق المزعومة لم يرها أحد ، لا قبل ولا بعد مقتل العجوز ، وهذا يعني أنها لم تكن موجودة سوى في خياله فحسب .. ولقد دفع ادعاؤه بوجودها القاتل إلى قتله ، ثم إنه لم يغادر القيلًا ، ولم يذهب إلى شركته طوال خمس سنوات ، وسكربتيره لا يعلم شيئاً عن تلك الأوراق المزعومة ، فكيف وصلت إلى العجوز إذن .

ابتسم (عماد) ، وهو يقول :

— فلنفترض أن نظريتك صحيحة يا أستاذ (عصام) ..
بِمَ يفيدنا ذلك ؟

بهت (عصام) ، وتطلّع إلى (عماد) و (غلا) لحظة في خيرة ، ثم لم يلبث أن عقد حاجبيه ، وهو يقول في جدّة :

غمغم الدكتور (خالد) في خفوت :
— الأمر لا يثير الهلع إلى هذا الحد يا أستاذ (عصام) ،
هناك عشرات .. بل مئات يصابون بنفس هذا المرض و ...
قاطعه (عصام) في حزن شديد :
— إنك لا تدرك خطورة الأمر يا دكتور (خالد) .. لقد
دفع العجوز شخصاً ما إلى قتله ، دون أن يكون هناك مبرر .
سأله الدكتور (خالد) في جزع :

— ماذا تعني ؟

أجابه (عصام) في حزن :
— أغنى أن العجوز قد تسبّب في مصرع نفسه يا دكتور
(خالد) ، وهذا هو حل جزء من اللغز .



نهض (عصام) ، وهو يقول في ضجر :

— سأفعل .. وإن كنت أظن أن هذا لن يضيف جديدا ..

— سيضيف جديدا على الأقل ..

سألته (غلا) :

— إلى ماذا ؟ .. إننا أمام جريمة قتل ، لا يفيدنا فيها كون الأوراق حقيقة أو لا .

غمغم (عصام) في سخط :

— حسنا .. لقد كانت محاولة لكشف بعض الغموض .

رَأَنَ عليهم صمت ثقيل لحظات ، ثم قالت (غلا) في خفوت :

— من رأيي أننا لم نقتحم قلب القضية بعد .

غمغم (عماد) :

— هذا صحيح .

هتف (عصام) في ضيق :

— وماذا نفعل لنقتحمه ؟

أجابته في اهتمام :

— نستجوب المشتبه فيهما .. (حاتم) و (هاني) .

نهض (عصام) ، وهو يقول في ضجر :

— سأفعل .. وإن كنت أظن أن هذا لن يضيف جديدا .

تبادل (عماد) و (غلا) نظرة غامضة ، ثم غمغمت (غلا) :

— مَنْ يَدْرِى ؟

تنهّد (عصام) قبل أن يقول فى ضيق :

— نعم .. مَنْ يَدْرِى ؟

بدا (حاتم) شديد التوتر والارتباك ، وهو يستقبل (عصام) فى مكتبه فى الشركة ، حتى أن أصابعه كانت ترتجف ، وهو يشعل سيجارته ، قبل أن يسأل (عصام) فى قلق :

— هل يدهشك أننا قد عُدنا إلى العمل ، قبل أن ينتهى الطبيب الشرعى من وضع تقريره ، حول مصرع العجوز ؟
أوماً (عصام) برأسه ، وهو يقول :
— هذا صحيح .

نفث (حاتم) دُخان سيجارته فى توتر واضح ، وهو يقول :

— إنه العمل يا أستاذ (عصام) .. توقّف العمل فى شركة كبرى ، كشركتنا ، ليوم واحد ، قد يؤدى إلى خسارة مالية ضخمة ، وهذا هو رأى العجوز .. وأنا واثق أنه لو كان فى موقفنا لعاد إلى العمل فى اليوم التالى مباشرة .

سأله (عصام) فى هدوء :

— هل كان يمتلك طبيعة عملية إلى هذا الحد ؟

هتف (حاتم) فى جدّة :

— إلى حدٍّ مثير للمقت .

وكأنما أدرك أن عبارته هذه تدينه ، فقد أسرع يستدرك فى اضطراب :

— ولكن ليس إلى الحدِّ الذى يدعو لقتله بالطبع .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول فى هدوء :

— بالطبع .

ثم عاد يسأل (حاتم) فى اهتمام :

— هل كان من الممكن أن يكشف العجوز أية انحرافات مالية بالشركة ؟

أجاب (حاتم) فى توتر :

— كلاً بالطبع ، فهو لا يأتى إلى هنا أبداً ، ولا يراجع حسابات الشركة مطلقاً .

سأله (عصام) :

— بتم تبرّر موضوع تلك الأوراق ، التى تحدّث عنها إذن ؟

لُوح (حاتم) بذراعه ، وهو يقول في حَنَق :

— محض أو هام .. إنه عجوز مخرف .

ابتسم (عصام) في خبث ، وهو يسأله في هدوء :

— هل تظن ذلك ؟

هتف (حاتم) بأعصاب ثائرة :

— لقد كان رجلًا حادًا في كل مشاعره .. يحبُّ في شِدَّة ،

ويكره في شِدَّة ، وفي كلتا الحالتين لم يكن يخل بمشاعره

وأفعاله ، فقد يحبك إلى حدٍّ منحك حياته كلها ، أو يكرهك

إلى حدٍّ سلب حياتك بلا تردّد .

غمغم (عصام) في دهشة :

— إلى هذا الحد ؟!

أوماً (حاتم) برأسه في عصبيّة ، وهو يقول :

— وأكثر من ذلك .. وفي رأيي أنه لم يحب مخلوقًا في حياته

سوى ابنتيه ، وأغني زوجتي ، وزوجة (هاني) ، أما فيما عدا

ذلك ، فهو يكره الجميع .

سأله (عصام) في هدوء :

— حتى (جمال) ؟!

عقد (حاتم) حاجبيه ، وهو يقول :

— لقد كان دائم الشجار مع (جمال) ابني ، على الرغم من

أنه حفيده الوحيد .. فابنته الأخرى عاقر .. ولقد كان يعتبر

(جمال) مشاكسًا ، مُسرفًا ، ويخالفه في كل الأفكار والآراء .

سأله (عصام) :

— وماذا عن شعور (جمال) نحوه ؟

أجابه في جدّة :

— لقد كان يحبه ، ويقدره .

سأله (عصام) ، وهو ينهض استعدادًا للانصراف :

— أهو الذي طلب الانضمام إلى إدارة الشركة ؟

هزّ (حاتم) رأسه نفيًا ، وهو ينهض بدوره ، قائلاً :

— كلاً .. العجوز هو الذي طلب ذلك ، بعد تخرُّج

(جمال) من كلية الهندسة .

مدّ (عصام) يده يصافحه ، وهو يقول :

— شكرًا يا أستاذ (حاتم) .. سيفيدني ذلك كثيرًا .

صافحه (حاتم) في شِدَّة ، وهو يقول :

— أتعشم ذلك يا أستاذ (عصام) .. أتعشم ذلك .

ولم يكذ (عصام) يغادر مكتبه ، حتى عقد هو حاجبيه في

غضب ، وهو يكرّر في خفوت :

— نعم .. أتعشم ذلك .

استقبل (هانى) (عصام) فى مكتبه فى برود ، ودعاه إلى الجلوس ، وهو يقول فى حدة :

— لو أنك تتوقع أن تحصل منى على جديد ، فأنت واهم .

أجابه (عصام) فى برود مماثل :

— لو أنك أجبت عن أسئلتى فى صدق ، فستضيف جديدا بلا شك يا أستاذ (هانى) .

مال (هانى) نحوه ، وهو يقول فى عصبية :

— ومن قال إننى سأجيب عن أسئلتك ؟ .. لقد أدليت بكل ما لدى للشرطة ووكيل النيابة .

تبادل الاثنان نظرة صارمة ، ثم قال (عصام) فى هدوء :

— كما تشاء يا أستاذ (هانى) .. ولكن لدى نقطة قد تدفع

وكيل النيابة إلى استدعائك مرة أخرى ، على وجه السرعة .

ابتسم (هانى) ابتسامة تجمع ما بين السخرية والتوتر ،

فاستطرد (عصام) فى برود :

— لقد أدرك صديقان لى أن غياب شخص ما عن مائدة ،

فى حفل صاحب كحفلى رأس السنة ، قد لا يذكره أحد ممن

يشاركونه هذه المائدة ، إلا لو كان غيابه يتوافق مع لحظة خاصة ، يتبه فيها الجميع ، ألا وهى لحظة تمام منتصف الليل ، ومولد عام جديد .

اختفت ابتسامة (هانى) ، وانعقد حاجباه ، وهو يقول فى توثر :

— وماذا بعد ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

— وبسؤال زوجتك ، أفادت بأنك لم تكن حول المائدة ، حينما دقت الساعة معلنة تمام منتصف الليل تماما ، أى فى نفس اللحظة التى ارتكب فيها حادث قتل العجوز .

شحب وجه (هانى) ، وبدأ توثره واضحا فى نقرات أصابعه ، على سطح مكتبه ، وهو يتطلع إلى وجه (عصام) ، قبل أن يغمغم :

— أنت كاذب .

أخرج (عصام) جهاز التسجيل الصغير من جيبه ، وهو يقول فى هدوء :

— لقد سجلت أقوال زوجتك .

ازداد شحوب وجه (هانى) ، وغمغم فى خنق :

— إننى لم أقتل العجوز ، ويمكنك أن تسجل هذا أيضًا .
عقد (عصام) حاجيه ، وهو يسأله فى صرامة :
— هل يمكنك أن تثبت ذلك ؟

— يبدو أن هذا الصحفى شديد الخطورة بالفعل .
امتقع وجهها ، وهى تسأله فى جزع :
— هل تظن أنه قد توصل إلى الحقيقة ؟
زفر ، وهو يحيب :
— ليس بعد .. ولكنه يدور حولها ، ولن يلبث أن يقع
عليها .

وانعقد حاجباه ، وهو يستطرد فى توثر بالغ :
— ولا بُدَّ أن نمنعه من الوصول إليها .. لا بُدَّ ..



لُوح (هانى) بذراعه ، وهو يقول فى حنق :
— حاول أنت أن تثبت أننى قتله .
ابتسم (عصام) ، وهو ينهض قائلاً :
— خطأ يا أستاذ (هانى) .. إن عدم وجودك فى مكان
الحفل ، فى وقت مقتل العجوز ، يجعلك المشتبه فيه رقم
واحد ، وعليك أنت أن تثبت العكس .
واتجه إلى باب المكتب ، وهو يستطرد ، مُولياً ظهره
لـ (هانى) :

— صدقنى .. إن موقفك هذا شديد الصعوبة .
ثم غادر الحجرة ، وأغلق الباب خلفه فى هدوء ، وبقي
(هانى) جامداً شاحباً ، حتى دلفت سكرتيرته الحسنة إلى
حجرتة ، دون أن تدق الباب ، واقتربت منه ، لتسأله فى
قلق :

— لم تبدو شاحباً هكذا؟ .. هل .. هل .. ؟
لم تنجح فى إتمام سؤالها ، فغمغم هو :

٦ - الوصية ..

أطلقت (غلا) ضحكة مرحة ، وهى تقول :
— خدعة رائعة يا أستاذ (عصام) .. لقد أوقعت الرجل
في الفخ .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :
— لقد كانت مناورة مدروسة ، فهو لم يتصور أننى
أخدعه ، حينما أخرجت جهاز التسجيل ، وقلت له إننى قد
سجلت أقوال زوجته .

سأله (عماد) فى اهتمام :
— ولكن هل اعترف بعدم وجوده حول المائدة ، فى
منتصف الليل ؟

أوماً (عصام) برأسه ، وهو يقول :
— نعم على نحو مباشر .. فهو لم يعترض على عدم وجوده فى
تلك الساعة .. كل ما قاله هو أنه لم يقتل العجوز .
سأله (غلا) :

— وماذا عن (حاتم) ؟ .. أكان حول المائدة فى تلك
اللحظة ؟

أجابها (عصام) فى اهتمام :
— لا يمكنك الحصول على جواب شافٍ ، بالنسبة لهذا
السؤال يا (غلا) .. فمن الواضح أن الحفل كان صاخباً ، إلى
حد أن أحداً لا يذكر من بقى ومن ذهب .. ولولا هذه
الخدعة ، ما تأكدت من أن (هانى) لم يكن هناك .

غمغم (عماد) فى ضيق :
— هذا يعيدنا إلى نفس النقطة ، فلا يمكننا إثبات إدانة
أحد .

هز (عصام) كتفيه ، وهو يقول :
— ربّما بعد قراءة وصية العجوز .
سأله (عماد) فى دهشة :
— هل ترك وصية ؟

أوماً برأسه ، وهو يقول :
— نعم .. وسيقرأها المحامى على أفراد الأسرة صباح
الغد ، وسيحضر مسكرتيره (نيه) قراءتها أيضاً ، وكذلك
العقيد (خيرى) ، وأنا .

سأله (غلا) في هفة :

— وهل تظن أنها ستضيف جديدا ؟

ابتسم ، وهو يقول :

— للإجابة عن هذا السؤال ، سأستعير عبارتك

يا (غلا) .

واتسعت ابتسامته ، وهو يستطرد :

— مَنْ يَدْرِى ؟

قاد (عصام) سيارته الصغيرة في بطاء ، عبر شوارع
(القاهرة) الخالية ، في منتصف تلك الليلة ، من ليالى
(يناير) الباردة ، وهو يسترجع في ذهنه أحداث القضية ، في
طريق عودته إلى منزله ..

كانت القضية تبدو له شديدة البساطة ، وشديدة التعقيد
في الوقت ذاته .. فعلى الرغم من أن عدد المشتبه فيهم لا يتجاوز
الاثنين ، إلا أن إثبات التهمة على أحدهما بدا أمرا شديدا
الصعوبة .. فمن المستحيل إثبات أن (هانى) لم يكن داخل
الحفل ، حينما ارتكب الحادث ، ومن المستحيل في الوقت ذاته
إثبات أن (حاتم) كان هناك .

حتى وسيلة ارتكاب الجريمة بدت له غير مؤكدة
أو واضحة .. فحوض الزهور ، الذى تطل عليه النافذة واسع
وفسيح ، بحيث أنه من المستحيل أن يقفز القاتل من النافذة ،
دون أن يطرأ بقدميه .. ومن المستحيل في الوقت ذاته أن يدخل
منها إلى الحجرة ، دون أن يخوض فيه .. فى حين أن النافذة هي
المكان الوحيد لخروج أو دخول القاتل ..

كل شيء كان يبدو له مستحيلا ، حتى لقد أقسم
ألا يعارض (عماد) و (غلا) أبدا ، لو أنهما توصلا إلى حل
صحيح منطقي .

وفجأة .. وبينما هو مستغرق في أفكاره ، قطعت سيارة
كبيرة الطريق أمامه ، فضغط كمّاحة سيارته في قوة ، وهو
يهتف في سخط :

— ياللعبت !

توقفت السيارة الكبيرة أمام سيارته ، وهبط منها رجلان ،
اتجها إليه في خطوات سريعة ، فاتسعت عيناه ، وهو يهتف :

— يا إلهي !! إنه اعترض متعمدا .

حاول أن يعود بسيارته إلى الخلف ، ولكن الرجلين بلغاه
في تلك اللحظة ، وفتح أحدهما باب السيارة المجاور له ، وهو
يقول في صرامة :

— انزل .

ارتجف جسد (عصام) ، وهو يقول في توثر :

— حسنا .. حسنا .. سأنزل .

وفجأة .. دفع باب السيارة بكل ما يملك من قوة في وجه الرجل ، وقفز منها ليلكمه في فكة .. وقبل أن يسقط الرجل ، كان (عصام) قد قفز فوق مقدمة سيارته ، وركل الآخر في وجهه في قوة ، ثم قفز مرة أخرى إلى الأرض ، ولكم الأول في معدته ، ثم اندفع داخل سيارته ، التي مازال محركها دائرا ، وانطلق بها إلى الخلف في سرعة ..

واندفع الرجلان يحاولان اللحاق به ، ولكنه انطلق مرة أخرى إلى الأمام ، وصادم أحدهما بجانب سيارته ، وانطلق بها مبتعدا بأقصى سرعة ، وهو يهتف :

— يا إلهي !!.. لقد حاول التخلّص مني .. أحد الرجلين .. (حاتم) أو (هاني) حاول التخلّص مني .. يا إلهي !!.. يا إلهي !!..

قفز الرجلان إلى سيارتهما ، وانطلقا خلفه في إصرار ، وهو يزيد من سرعة سيارته ، محاولا الفرار منهما . ولكن سيارتهما كانت أكثر قوة وسرعة ..



وفجأة .. دفع باب السيارة بكل ما يملك من قوة في وجه الرجل ، وقفز منها ليلكمه في فكة ..

ولقد لحقاً به ..

ومرّة أخرى اعترضت سيارتهما طريقه ، ولكنه دار حولها
في حركة بارعة ، وواصل طريقه في توّثر شديد ..

وفجأة .. اعترضته سيارة أخرى ..

سيارة تحمل شعاراً رسمياً يعبث على الارتياح ..

سيارة من سيارات الشرطة ..

وأوقف (عصام) سيارته ، إلى جوار سيارة الشرطة ،

وقفز منها وهو يقول لضابط الدورية :

— أنا (عصام كامل) .. صحفي بقسم الحوادث و ..

قاطع الضابط مبتسماً :

— أنا أعرفك يا أستاذ (عصام) ، ماذا تريد ؟

هتف (عصام) ، وهو يلتفت خلفه :

— هذه السيارة تطاردني و ...

بتر عبارته بغتة ، حيناً لم يجد أثراً للسيارة خلفه ، في حين

سأله الضابط في اهتمام :

— أية سيارة يا أستاذ (عصام) ؟

عقد (عصام) حاجبيه ، وهو يجيب :

— لا عليك أيها الضابط .. يبدو أنني قد توهمت ذلك .

ثم استطرد في أعماقه :

— كما توهم القاتل أنه سيمنعني من مواصلة البحث ،
بأسلوبه الحقير هذا ..

وفي صوت مسموع ، أردف على نحو أثار دهشة
الضابط :

— موعدنا غداً .. مع قراءة الوصية ..

تجلّت الدهشة واضحة ، في ملامح أفراد الأسرة ، حينما

فوجئوا بالعقيد (خيرى) ، و (عصام) ينضمّان إليهم في

مكتب المحامى ، لسماع وصية (حسين صادق) ، وأعلن

(هانى) عن دهشته في وضوح ، وهو يقول في جدّة :

— عجباً !! .. لم تدهشنى دعوة (نبيه) لسماع الوصية ،

نظراً لأن المرحوم كان يؤليه ثقة وعطفاً شديدين ، ولكن ماذا

يغنى حضوركما ؟

أجابه العقيد (خيرى) في برود :

— يمكنك أن تقول إن هذا يدخل ضمن التحقيق في مقتل

العجوز .

هزّ كتفيه ، وهو يقول :

— وبِمَ يمكن أن يفيد كما ذلك .. لقد كانت حماقة كبيرة من العجوز ، أن يلجأ إلى كتابة وصية .. فالشرع قد حدّد كل شيء على نحو لا يقبل الشك ، وليس من حقّه أن يُوصى بأكثر من ثلث ثروته .

ابتسم (عصام) ، وهو يقول :

— لا ريب أن لديه مبرراً قوياً ليفعل .

حدّجه (هاني) بنظرة ساخطة ثابتة ، في حين تنحّج الحمّامى ، وهو يقول :

— حسناً أيها السّادة ، فلنؤجّل هذه المناظرة لما بعد ، فلقد اكتمل العدد ، ويمكننا أن نبدأ قراءة الوصية الآن .

غمغم (حاتم) في توتّر :

— لماذا لم يخبرنا العجوز أنه سيكتب وصية ؟

أجابه الحمّامى في هدوء ، وهو يفضّ الوصية ، ويضع منظاره فوق عينيه :

— لقد وضعها منذ أسبوع واحد فقط .

ثم تنحّج مرّة أخرى ، وبدأ يقرأ قائلاً :

— أقرّ أنا (حسين محمود صادق) ، بكامل قواى العقلية والبدنية ، أن هذه الوصية هي وصيتى الشرعية ، أكتبها بكامل

إرادتى ، وفيها أوصى لسكرتيرى الخاص (نبيه) بنصف مليون جنيه .

امتقع وجه (نبيه) وهو يهتف في دهشة :

— يا إلهى !!

تطلّع إليه (حاتم) في مقت ، وابتسم (هاني) في سخرية ، في حين استطرد الحمّامى في هدوء :

— كما أوصى لحفيدي (جمال) بربع الشركة ، على أن يتم توزيع الباقي طبقاً للأنصبة الشرعية ، بشرط أن يتم عزل زوج ابنتى (هاني) من الإدارة ؛ لأنه

صمت الحمّامى لحظة ، شحب خلالها وجه (هاني) في شدّة ، قبل أن يردف الحمّامى في صرامة :

— لأنه خائن .

امتقع وجه (هاني) حتى بات أشبه بوجوه الموتى ، وتطلّع إليه أفراد الأسرة في ذهول في حين اتجه إليه العقيد (خيرى) ، ووضع يده على كتفه ، وهو يقول في صرامة :

— أعتقد أن هذا يشرح كل شيء .

٧ - نصف الحقيقة ..

شعر (عصام) بدهشة بالغة ، لذلك الانطباع البارد ،
الذي ارتسم على وجهي (عماد) و (غلا) ، حينما أخبرهما بما
حدث ، فهتف في حدة :

— ماذا أصابكما ؟ .. لقد انتهت القضية ، ووقع القاتل .
تبادل (عماد) و (غلا) واحدة من نظراتهما الغامضة ،
قبل أن تسأله (غلا) :
— وهل اعترف ؟

هز (عصام) كتفيه ، وهو يقول :
— كلاً بالطبع ، إنه مازال يصرُّ على أنه بريء ، على الرغم
من أنه لم يبرِّر اختفائه من مكان الحفل ، في وقت الحادث .
سأله (عماد) :

— وماذا عن عمله ؟ .. هل ثبت اختلاسه لأموال الشركة ؟
أجابه (عصام) :

— كلاً .. وهذا هو أعجب ما في الأمر ، فكل أعمال
الشركة المالية على مايرام .

عاد (عماد) و (غلا) يتبادلان نظرتيهما الغامضة ،
فهتف (عصام) في حنق :

— لا داعي لأسلوبكما المثير هذا ، لقد انتهت القضية
بنجاح ، دون تدخلكما هذه المرة .
قالت (غلا) في رجاء :

— هل يمكنك أن تواصل التحقيق ليوم واحد ، من أجلنا
يا أستاذ (عصام) ؟

عقد حاجبيه ، وهو يقول في حدة :

— لو أن هناك مايرر ذلك .

قال (عماد) في هدوء :

— يمكنك أن تمنحنا ثقتك على الأقل .

زفر في عمق ، وعقد ساعديه أمام صدره ، وهو يقول :

— لا بأس .. ماذا تريدان ؟

تبادلا نظرتيهما الغامضة مرة أخرى ، ثم قالت (غلا) في

هدوء :

— بضعة أجوبة فحسب يا أستاذ (عصام) .. بضعة

أجوبة .

أطل الحزن من عيني (نبيه) ، وهو يقول لـ (عصام) :
— ذكرى ذلك اليوم مازالت تؤلمني يا أستاذ (عصام) ،
وأكره استعادتها .

أوماً (عصام) برأسه متفهّماً ، وهو يقول :
— أعلم ذلك يا أستاذ (نبيه) ، ولكن إجابتك سيكون لها
عظيم الأثر في القضية .

رفع (نبيه) حاجبيه في دهشة ، وهو يقول :
— أى أثر ؟ .. ألم تنته القضية ؟
تنهّد (عصام) ، وهو يقول :

— ليس بعد يا أستاذ (نبيه) .. ليس بعد .
ثم مال نحوه يسأله في اهتمام :

— كم تبعد حجرة مكتبك عن حجرة مكتب المرحوم ؟
هزّ (نبيه) كتفيه ، وهو يقول :

— تبعد حوالى مترين ، فكلتاها في ممر واحد ، وحجرتي
تواجه حجرته .

سأله (عصام) :

— هل سمعت صوت زجاج النافذة يتحطّم ؟
عقد (نبيه) حاجبيه ، محاولاً التذكّر ، ثم لم يلبث أن غمغم :

— كلاً .. لا أظن ذلك .

سأله (عصام) في لهفة :

— ولا صوت أقدام تعبر الممر .

هتف (نبيه) في ثقة :

— كلاً بالتأكيد .

تنهّد (عصام) وهو يسأله :

— سؤال أخير يا أستاذ (نبيه) .. هل يتصل هاتف

حجرة العجوز بأى هاتف آخر في القيّلا ؟

أجابته (نبيه) ، وهو في خيرة من أمر السؤال :

— نعم .. كل هواتف القيّلا تتصل ببعضها البعض ، فهو

خط واحد .

أوماً (عصام) برأسه ، وقال ، وهو يهمّ بالانصراف :

— شكراً يا أستاذ (نبيه) .. هذا كل ما أردت معرفته .

استوقفه (نبيه) ، وهو يسأله في خيرة :

— هل لك أن تخبرني ماذا تعنيه هذه الأسئلة ؟

ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :

— سأخبرك حالما أعرف يا أستاذ (نبيه) .. صدقني ..

سأخبرك حالما أعرف .

حدّق الدكتور (خالد) في وجه (عصام) في دهشة ،
وقلّب كفيه في خيرة ، وهو يقول :
— وصيّة (حسين) ؟! .. وما شأنى أنا بوصيته يا أستاذ
(عصام) ؟

أجابه (عصام) في هدوء :
— أريد أن أعرف ، هل هي قانونية ؟
ابتسم الدكتور (خالد) ابتسامة حائرة ، وهو يقول :
— أظن أن هذا السؤال يخصّ محاميه ، وليس طيبه .
مال (عصام) نحوه ، وهو يقول في اهتمام شديد :
— خطأ يا دكتور (خالد) .. لقد كتب (حسين
صادق) وصيّته منذ أسبوع واحد .. ولكي تنفّذ الوصية ،
لابد أن يكون صاحبها سليم العقل تمامًا ، وإلا ألغيت قانونًا ،
فهل تظن أن مريضك (حسين صادق) ، كان سليم العقل
تمامًا ، قبل أسبوع واحد من مصرعه .
صمت الدكتور (خالد) لحظة ، ثم أجاب في حزم :
— كلاً .

نهض (عصام) ، وابتسم ، وهو يقول :
— شكرًا يا دكتور (خالد) .. لقد منحتنا ما كنا نطمح إليه .



ابتسم (عصام) ابتسامة باهتة ، وهو يقول :
— سأخبرك حالما أعرف يا أستاذ (نبيه) .. صدقتى ..

صافحه الدكتور (خالد) ، وهو يقول في خيرة :
— إننى لم أفهم شيئاً بعد .

اتسعت ابتسامة (عصام) ، وهو يقول :
— تابع الصحيفة التى أعمل بها ، وستقرأ كل التفاصيل فى
صفحة الحوادث بإذن الله .
وتنهَّد قبل أن يضيف :
— وأراهنك أنها ستذهلك .

نقل (عصام) إلى (عماد) و (غلا) كل ما حصل عليه من
أجوبة ، وأدهشه تهلل أساريهما على نحو فائق ، فسألهما فى خيرة :
— هل بدلت تلك الأجوبة الأمور إلى هذا الحد ؟

أجابته (غلا) فى مرح :
— لقد قلبت القضية كلها رأساً على عقب .
زفر (عصام) ، وهو يقول :
— لن يدهشنى ذلك .

أجابه (عماد) مبتسماً :
— بل سيدهشك يا أستاذ (عصام) .. وسيدهلك أيضاً .
ارتفع حاجبا (عصام) ، وهو يهتف :
— إلى هذا الحد ؟!

ضحكت (غلا) ، وهى تقول :

— نعم .. إلى هذا الحد .

عقد حاجبيه ، وهو يقول فى عصبية :
— حسناً .. ماذا لديكما ؟

اعتدل (عماد) ، وهو يجيب :

— لقد أدهشنا أن يُتهم (هانى) بقتل حميه يا أستاذ
(عصام) ، ليس لأنه من غير المنطقى أن يفعل ، وإنما لأننا
نعجز عن إجابة سؤال هام ، ألا وهو .. كيف ؟
سأله (عصام) فى دهشة :

— ماذا تعنى ؟ .. لقد قتله القاتل وفرَّ غيّر ال ..
عجز عن إتمام عبارته ، حينما تذكر أنه هو نفسه وجد هذا
مستحيلاً ، فعاد يعقد حاجبيه ، وهو يغمغم :
— هناك وسيلة ولا شك .

قالت (غلا) فى حزم :
— كلاً يا أستاذ (عصام) .. مع كل ما توصلنا إليه ،
يكون قتل العجوز داخل حجرة مكتبه مستحيلاً .
صاح (عصام) فى جدّة :
— كيف لقي مصرعه إذن ؟

ابتسم (عماد) ، وهو يقول :
— سأخبرك يا أستاذ (عصام) ، ولكن حاول أن تتمالك
أعصابك .. فالحل هذه المرة سيذهلك .. سيذهلك حقاً .

٨ - المفاجأة ..

استقبل العقيد (خيرى) (عصام) فى مكتبه ، وابتسم وهو يقول له :

— كنت أتوقع قدومك يا (عصام) ، فلن يكفيك إلقاء القبض على القاتل ، بل ستسعى لتسجيل اعترافه كاملاً .
هتف (عصام) فى دهشة :

— هل اعترف ؟

هزَّ العقيد (خيرى) رأسه نفياً ، وقال :

— ليس بعد .

ثم استدرك فى حزم :

— ولكنه سيفعل بالتأكيد .

مطَّ (عصام) شففيه ، وتنهد ، قبل أن يقول :

— هل يمكنى رؤيته ؟

أجابه العقيد (خيرى) فى هدوء :

— بالطبع .. إنه فى طريقه إلى مكتبى الآن ، فلقد طلبت حضوره لمواصلة استجوابه .

لم تمض خمس دقائق ، حتى كان (هانى) يحتل مقعداً فى حجرة العقيد (خيرى) ، ولقد بدا شاحباً ، ممتقناً منهاراً ، حتى أنه لم يرفع عينيه إلى (عصام) ، حينما سأله فى إشفاق :

— كيف حالك يا أستاذ (هانى) ؟

كانت لهجته أقرب إلى البكاء ، وهو يقول :

— بيم تريد أن أجيبك ؟.. هأنذا أمامك ، متهم بجريمة لم أرتكبها .

غمغم (عصام) فى تعاطف :

— أعلم ذلك يا أستاذ (هانى) .

عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، دون أن ينبس ببنت شفة ، فى حين غمغم (هانى) فى سخرية مريرة :

— عجباً !!.. كيف اتهمتى إذن ، مادمت توفن ببراءة فى هكذا ؟

تنهد (عصام) ، قبل أن يقول فى هدوء :

— كان يمكنك أن تتفادى كل هذا ، لو اعترفت بأنك

متزوج من أخرى يا أستاذ (هانى) .

انتفض جسد (هانى) فى قوة ، واتسعت عيناه فى ذعر ،

وهو يحدق فى وجه (عصام) ، قبل أن يهتف فى صوت

متحشرج مختق :

— كيف ؟!.. كيف عرفت ؟!

هتف العقيد (خيرى) فى دهشة :

— يا إلهى !!.. إذن فهذا صحيح !

على حين قال (عصام) لـ (هانى) فى هدوء :

— لقد كان هذا ما يقصده العجوز ، حينما قال إنك خائن .. فابنته — التى هى زوجتك — عاقر ، لا تُنجب .. ولقد تزوّجت أنت لتحظى بـ زوجة تنجب لك طفلاً ، ولكن العجوز علم ، حينما تصنّت على مكالمة دارت بينك وبين زوجتك الجديدة ، ولم يحتمل موقفك هذا ، واعتبره خيانة فى حقّ ابنته ، فأراد أن يعاقبك .

انهار (هانى) ، وهو يقول :

— نعم .. نعم .. إننى أثوق لإنجاب أبناء ، منذ تزوّجت ابنة ذلك اللعين .. ولكنها عاقر ، لم ولن تُنجب .. ولقد خشيت أن أتركها ، فأفقد منصبى فى الشركة ، وتنهار كل طموحاتى ؛ لذا فقد تزوّجت سكرتيرتى سراً ، وأنجبت منها ولدين بالفعل .. ولقد خاطبتنى هاتفياً فى المنزل مرّة واحدة ، منذ أسبوعين ، لتخبرنى أن أحد ولدينا مريض ، ويحتاج إلى طبيب .. ولقد شككت فى أن يكون العجوز قد تصنّت على

المكالمة ، ولكنه لم يُبدِ أى ردّ فعل ، مما جعلنى أتصوّر أنه لم يفعل ، إلا أنه انتقم منى ، وأعلن ذلك فى وصيته .

واغرورقت عيناه بالدموع ، وهو يستطرد :

— ولكننى لم أقتله .. أقسم على ذلك .. لقد غادرت المائدة بالفعل ، قبيل منتصف الليل فى أثناء الحفل ، ولكننى لم أغادر مكان الحفل .. فلقد كانت زوجتى الثانية هناك ، وكنا قد تواعدنا على أن نحتفل بمقدم العام الجديد معاً ؛ لذا فقد استغللت انشغال الجميع ، وصخب المكان ، وذهبت إليها فى مائدة منعزلة ، وظللت معها حتى الدقائق العشر الأولى من العام الجديد ، ثم عدت إلى المائدة .. أقسم أننى لم أقتل العجوز .

هتف العقيد (خيرى) فى توثر :

— هل تشهد زوجتك الجديدة على ذلك ؟

أطرق (هانى) برأسه ، وقال فى مرارة :

— نعم .. إنها ستفعل من أجلى .. أقسم لكم أننى لم أقتله .

غمغم (عصام) :

— إننى واثق فى صدقك يا أستاذ (هانى) .. فلقد كان

من المستحيل أن تدخل إلى حجرة القتل، وتقتله، دون أن يشعر بك سكرتيره، الذي يجلس في الحجرة المقابلة له.. كما أنك لم تكن تعلم أنه سيقف في حجرتك، وما كنت لتخطر بالعودة، وأنت تجهل ذلك.. ثم إن مغادرة الحجرة بعد ذلك مستحيلة، فالباب ظل مُوصداً من الداخل، والنافذة تم تحطيمها من الداخل أيضاً، والسكرتير لم يسمع صوت تحطم النافذة، على الرغم من أنه قد هرع إلى حجرة مكتب مخدومه، فور سماعه لصرخته.. ولو أنك قفزت من النافذة، فقد كان من المستحيل أن تتجاوز بقفزتك حوض الزهور، الذي لم يحمل سوى آثار أقدام السكرتير فقط.

اتسعت عينا العقيد (خيرى)، وهو يهتف:

— ولكنك تدين السكرتير هكذا يا (عصام) .. فالحل الوحيد الذى يتبقى هو أنه القاتل، وأنه قد اختلق كل هذه القضية.

هز (عصام) رأسه نفياً، وقال:

— مستحيل أيضاً يا سيادة العقيد، فالشروط نفسها تنطبق على السكرتير أيضاً.. فلو أنه هو الذى قتل العجوز، ما كانت أمامه سوى وسيلتين لمغادرة الحجرة.. إما عن طريق

الباب، وهذا مستحيل؛ لأنه ظل مُوصداً من الداخل، حتى وصل رجال الشرطة، أو عن طريق النافذة.. وتقارير البحث الجنائي تؤكد أنه لم يقفز منها، وإلا كانت آثار أقدامه أشد عمقا.

هتف العقيد خيرى فى حَقِّ :

— كيف قُتل العجوز إذن ؟

أجابه (عصام) فى هدوء :

— إنه لم يُقتل يا سيادة العقيد .

وخفت صوته ، وهو يستطرد :

— لقد انتحر .



٩ - الحل ..

لم يكذ (عصام) ينطق بكلمته الأخيرة ، حتى سقطت فكاً (هاني) السفلى ، واتسعت عيناه ، في ذهول وهو يحدّق في وجه (عصام) ، كما لو كان يتطلّع إلى مجنون خطير ، في حين عقد العقيد (خيرى) حاجبيه ، وهو يسأله في بقاء :

— أهو استتاجك ، أم استتاج (عماد) و (غلا) ؟

أجابه (عصام) في خفوت :

— بل هو استتاج (عماد) و (غلا) .

جلس العقيد (خيرى) خلف مكتبه ، وعقد ساعديه أمام

صدره ، وهو يقول في صرامة :

— حسناً .. سأستمع إليه .

ازدرد (عصام) لُغابه ، وقال في خفوت :

— من المعتاد — في عالم الجرائم — أن يحاول البعض وضع

جرمة القتل ، في صورة انتحار .. أما هذه المرة ، فنحن أمام

انتحار ، وُضِعَ في صورة جريمة قتل ؛ ليحقّق لعجوز مختل العقل

انتقامه ، من رجل تصوّر أنه قد خان ابنته ، التي لا يحب في الدنيا كلها سواها ، وسوى شقيقتها ..

صمت لحظة ، وكأنما يستجمع أفكاره ، ثم استطرد في

هدوء :

— بدأ الأمر كله حينما اختلس العجوز السمع ، إلى محادثة

تخصّ زوج ابنته ، وعلم منها أن (هاني) متزوّج من أخرى ،

وأنجب منها ولدين أيضاً .. فانتابه حنق وغضب شديدان على

(هاني) وقرّر الانتقام منه ، وإذلاله بأبشع وسيلة ممكنة ،

ودفعه عقله المريض إلى إعداد خُطّة شيطانية عجيبة ، فلم يكن

يرغب في إبعاد (هاني) عن شركته فحسب ، وإنما إعدامه

بتهمة القتل أيضاً .. وهكذا لم يُبدِ العجوز معرفته بالأمر ،

واستدعى محاميه ، وأملّى عليه وصيّته ، التي يشير فيها إلى

خيانة (هاني) ، ثم انتظر يوم حفل رأس السنة ، الذي يغادر

فيه الجميع القيلًا كالمعتاد ، وتصنّع الثورة ، وأشار إلى وجود

أوراق وهميّة ، تؤكد إدانة أحد زوجى ابنتيه باختلاس أموال

الشركة ، في حين كان من المستحيل أن يحصل على هذه

الأوراق ، دون أن يعلم بها سكرتيّره الخاص ، أو يذهب إلى

الشركة للحصول عليها .. وبعد أن انصرف الجميع ،

تعمد أن يتحدث مع سكرتيه عن (موسوليني) ، وإعدامه
 لزوج ابنته .. ثم طلب من السكرتير أن يبقى في حجرته ، ولقد
 أخبره أنه ربّما كان عليه أن يبلغ الشرطة ، وهو يعلم أنه سيفعل
 حينما يعثر عليه قتيلاً .. وحينما بدأت الساعة تدقّ ، حطّم
 زجاج النافذة ، مستغلاً رنين الساعة المرتفع ، الذى سيخفى
 صوت تحطّم الزجاج عن سكرتيه .. ولم يكد الرنين يتوقف ،
 حتى صاح بأعلى صوته ، قائلاً : ماذا تفعل هنا ؟ .. ولماذا
 عدت ؟ .. وهو يعلم أن هذه الصيحة ستصل إلى مسامع
 سكرتيه ، الذى ينتظر استدعائه له فى أية لحظة ، ثم تناول
 فتاحة الخطابات ، التى تشبه الخنجر ، وصرخ : هل أصابك
 الجنون ؟ ثم طعن نفسه فى قلبه ، وهو يطلق صرخة مدوئية ..
 صمت (عصام) لحظة أخرى ، ثم استطرد فى أسف :
 — كانت خطة شيطانية عجيبة ، لا يقدم عليها إلا عقل
 مريض مثله ، فقد أعدّ كل شيء فى مهارة ؛ ليوحى بأن قاتله هو
 أحد أفراد الأسرة ، وهو يعلم أن فض الوصية ، وقراءتها ،
 سيثيران على الفور إلى أن قاتله هو (هانى) .. ولكنه لم يتبه ،
 وهو يعدّ خطته ، إلى أنه قد جعل قتله مستحيلاً ، حينما أغلق
 باب مكتبه من الداخل ، وحطّم زجاج النافذة ، وأن شدة
 حذره ستكون هى الدليل على خطته وعلى انتحاره .



ثم تناول فتاحة الخطابات ، التى تشبه الخنجر ، وصرخ : هل أصابك
 الجنون ؟ ثم طعن نفسه فى قلبه ، وهو يطلق صرخة مدوئية ..

ران الصمت لحظات ، ثم غمغم العقيد (خيرى) فى استكار :

— استتاج منطقى بالفعل يا (عصام) ، ولكن ما من رجل عاقل يقتل نفسه بهذه الوسيلة .
أوماً (عصام) بسبأته ، وهو يقول :

— أنت على حق يا سيادة العقيد ، ما من رجل عاقل يفعل ذلك .. ولكن (حسين صادق) لم يكن عاقلاً ، بل كان مريضاً نفسياً ، يعانى عقدئى الاضطهاد والشعور بالعظمة ، ومن نوبات اكتئاب عنيفة ، قد تدفعه إلى محاولة التخلص من نفسه ، كما أكد طبيبه المعالج .

مطً العقيد (خيرى) شففيه ، وهو يقول فى تردد :
— ولكن مثل هذا الاستتاج يحتاج إلى دليل قوى يا (عصام) .

أوماً (عصام) برأسه إيجاباً ، وقال :
— لهذا ذهبت لزيارة صديقى الدكتور (على) الطبيب الشرعى ، قبل أن آتى إلى هنا يا سيادة العقيد .. ولقد أخبرنى أن الدليل على صحة الاستتاج واضح جلى ، لا يقبل الشك .. وأنا لو كنا قد انتظرنا تقرير الطبيب الشرعى ، ما بدأت هذه القضية من أساسها .

وأخرج الصورة ، التى التقطها للقنيل ، وهو يستطرد :
— لقد رأينا جميعاً أن القنيل كان يمسك مقبض فتاحة الخطابات فى قوة .. وتصوّرنا أنه كان يحاول انتزاعها من قلبه ، ولكن الحقيقة هى أنه كان يغمدها فى قلبه .. فهناك ما يعرف فى أوساط الطب الشرعى باسم (التخشب الرمى اللحظى) ، وهو عبارة عن انقباض خاص لعضلات اليد ، يحدث حينما يطلق إنسان النار على نفسه ، أو يطعن نفسه بخنجر .. ففى هذه الحالة تتخشب أصابعه حول الشيء الذى يقبض عليه ، ولا تتراخى إلا بعد أن تصل الجثة إلى مرحلة الارتخاء الكامل .. على عكس ما يحدث لو كان الشخص يحاول انتزاع خنجر من جسده . فأصابه لاتصاب فى هذه الحالة بالتخشب اللحظى أبداً ، بل ترتخى فور وفاته .. ولو كان العجوز يمسك بمقبض فتاحة الخطابات ، فى محاولة لانتزاعها من قلبه حقاً ، لسقطت يده إلى جانبه فور وفاته ، ولكن هذا لم يحدث : لأن التخشب اللحظى أصاب أصابعه ، حينما طعن نفسه بها ، فظلت يده تقبض على مقبضها حتى وصول رجال الشرطة .
مرت لحظة من الصمت المشوب بالدهشة ، قبل أن يهتف (هانى) فى فرح :

— إذن فأننا برىء .. لم أقتل العجوز .

التفت إليه (عصام) . قائلاً :

— هذا صحيح يا أستاذ (هانى) .

تهللت أسارير (هانى) . ولكن (عصام) استدرك فى

حزم :

— ولكن هذا لا يغنى أنك برىء تماماً .

شحب وجه (هانى) مرة أخرى ، وهو يقول :

— ماذا تغنى ؟

أجابه (عصام) فى صرامة :

— أعنى أنتى أتهمك بإرسال رجلين لتهديدى ، وإبعادى

عن القضية .

هتف (هانى) فى اضطراب :

— كلاً .. كان المفروض أن يعرضاً عليك ترك القضية ،

مقابل مبلغ من المال فحسب ، ولكنك هاجتتهما ، ولم تمنحهما

الفرصة و

قاطعته العقيد (خيرى) فى صرامة :

— هل تغنى أنك قد حاولت رشوته ؟

انهار (هانى) ، وهو يقول فى توثر :

— كنت أحاول الحفاظ على أسرتى فحسب .

التفت العقيد (خيرى) إلى (عصام) ، وسأله :

— هل ستقدم بشكوى ، بشأن ذلك ؟

هز (عصام) رأسه نفياً ، وقال :

— كلاً .. لن أفعل .

هتف (هانى) غير مصدق :

— شكراً يا أستاذ (عصام) .. أشكرك من كل قلبى .

لوح (عصام) بكفه ، وهو يقول :

— هذا لا يهم يا أستاذ (هانى) .. المهم أن كل شىء قد

انتهى ، وأن ملف (قضية منتصف الليل) قد أغلق تماماً .



١٠ - الختام ..

هز رئيس قسم الحوادث رأسه ، وهو يقول لـ (عصام) في خيرة :

— قضية عجيبة يا (عصام) .. كل شيء فيها مثير للدهشة .

أوماً (عصام) برأسه موافقاً ، وقال :
— هذا صحيح ، وأظن أن (حسين صادق) هو الخاسر الوحيد فيها .

ضحك رئيسه ، وهو يقول :
— إنه لم يكن يتوقع هذه النهاية بالتأكيد .

مطً (عصام) شففيه ، وهو يقول :
— بالطبع .

وصمّت لحظة ، ثم استطرد مبتسماً :

— لقد جاءت النهاية على نحو لم يتوقعه أحد .. فلقد حصل (نبيه) على نصف مليون جنيه دفعة واحدة .. وتقبّلت زوجة (هاني) أمر زواجه الثاني في استسلام وحزن .. ووافقت على أن يحتفظ بزواجه الثانية ، وبوظيفته أيضاً .. ولم يخسر أحد

شيئاً ، باستثناء (حسين صادق) ، الذي خسر حياته وانتقامه معاً .

هز رئيسه رأسه في خيرة ، وهو يقول :

— إنني لم أر في الواقع شخصاً أشدّ شراً من هذا الرجل .. لقد قتل نفسه لينتقم .

تنهّد (عصام) ، وقال :

— مادمنّا نحيا على وجه الأرض ، فسنشاهد الكثير من الشخصيات العجيبة .

قال رئيسه معقّباً :

— وخاصة في عالم الجريمة .

شرد (عصام) ببصره ، وهو يقول :

— إنه عالم عجيب .

ابتسم رئيسه ، وهو يميل نحوه ، ويسأله في اهتمام :

— ألم تشعر بالندم يوماً على اقتحامك هذا العالم ؟

أجابه (عصام) في حماس :

— مطلقاً .

ثم اعتدل ، وهو يردف في اهتمام :

— إنني أعترف بأنه عالم مظلم مخيف ، ولكن اللذة التي

يستشعرها المرء ، حينما يُوقع مجرم بين يدي العدالة ، تُفوق
كل ما يشعر به من خوف وتوتر وقلق ، في كل مرة يقتحم فيها
هذا العالم .

ابتسم رئيسه ؛ لإجابته ، وعاد يسأله :

— حتى ولو فشل فريق (ع × ٢) في حل قضية ما ؟

ضحك (عصام) ، وهو يقول :

— هذا لم يحدث حتى الآن .

سأله رئيسه في شغف :

— وماذا لو حدث ؟

عاد (عصام) يشرد ببصره لحظات ، ثم ابتسم ، وهو يقول :

— جلّ من لا يُخطئ .. وحتى لو حدث أن فشل الفريق في

حل قضية ما ، فسأظل أشعر بالفخر دومًا ؛ لأنني أحد أفراد

الفريق .

واكتسى صوته برّة الفخر ، وهو يردف :

— فريق (ع × ٢) .

[تمت بحمد الله]

